اسبوع رشدي العامل في المدى الثقافي

احتراما لذكرى الشاعر رشدي العامل ومنجزه الثقافي والشعري خصصت ثقافة المدى اسبوعا كاملا للاحتفاء به وسيكون اليوم الاربعاء موعدا للانتهاء من ملفه الشعري وستبدأ (المدى) بنشر المذكرات واليوميات تباعاً الاسبوع القادم وسيكون للقراء كل يوم حصة من المذكرات واليوميات للشاعر رشدي العامل.

حديقة علي

يا ولدي
ترحل؟
ها أنت بعيد،
شاهدتُ أصابعكَ الملمومةَ حول الكأس،
وعينيكَ السوداوين،
تغيمانِ وترتعشان،
وصوتكَ مخضلاً،
يهربُ في أروقة الصمت،
وثغرك يلثم ثوباً طرزَه الدمْ
❖❖❖
شاهدتك تبكي
لا تنكر. كنتَ وحيداً
واربتِ البابَ، واسدلتَ الاستارَ،
وأصغيتَ الى آخرِ انباء الليل، وضعتَ القلمَ النازفَ،
أطبقتَ الدفترَ،
أطفأتَ الشمعةَ،
قال لكَ الحلمُ الكاذبُ:
آتيكَ الليلةَ،
هل صدقتَ الاحلامَ،
ترش النوم؟
❖❖❖
يا ولدي..
أنهاجرُ؟ متنا من خطواتِ الغربةِ،
أتعبنا أرصفةُ العالم،
ضلتْ في طرقاتِ الارضِ خطانا.
ونهاجرُ داخلَ انفسنا
نهربُ من دمنا
ننأى عن أعيننا
تنأى عنا أعيننا
نبحثُ في أعماقِ الموتى عن آخرِ مرفأْ
في البردِ نلوذُ بثلجِ الصمت،
وفي الصيفِ نعري الاشجارَ
وفي صمتِ الليلِ،
إذا أطبقَ جفنيهِ الحارسُ ندفأ
❖❖❖
قل لي..
أي نجومٍ عبرتْ شاطئَ أحزانكَ،
ما شالتكَ،
الى الضفةِ الأخرى؟
❖❖❖
يا ولدي
ما العالمُ إلاّ كفانِ
يدٌ تعطي الخبزَ،
وأخرى تسرقُ خبزَ الناسْ
أعرفُ أن الارضَ لمن يحرثها،
والارضَ لمن يزرعها،
لكن القمحَ واشجارَ البستانْ،
وأعذاقَ النخلةِ للحراسْ
❖❖❖
مثلكَ،
وجهي كان بريئاً،
ودمي ما ذاقَ السمْ
وحقلي لا ينبتُ غيرَ القمحْ،
ولا يثمرُ الا اعذاقَ التمرْ،
وساقيةٌ في البستانِ تغنيْ للزنبقْ
كان الفجرُ الطالعُ ابهى،
والشمسُ الحلوةُ أكثرَ دفئاً،
والليلُ الناعمُ ارفقْ
كانت دنياي،
صبايا يغزلنَ الضوءَ من القمرِ الشاحبِ،
يخبزنَ على التنورِ رغيفاً،
يعصرنَ من الكرمِ نبيذاً يتعتقْ
كانت دنياي..
هي الدنيا

في دجلة لاينجو الا الزمان

الرسالة الثانية

علي العامل

الارض تعبى والسماء مثقلة بالدم. الصمت يدوي في الاجساد، صمت الموت الرخيص. نداوي أرواحنا بحكمة الصبر. بهدوء الصبر صبر الحقيقة. يقولون ان للحقيقة صبرها، تختار الممرات هادئة ناعمة راضية لا تتوارى عن النظر ولا تستعجل الاياب، تسير هادئة ناعمة. يقول العراف الكبير: لابد للحقيقة من ان تأخذ مداها، ومداها الكون، ومداها الروح. يدخل الاموات الارض هادئين وديعين، يتركون الارواح تتلاطم في شوارع بغداد. ارواح الموتى نشمها كل يوم نقاتل بها الزيف والكذب والعهر والفسق. امطار الصباح ترتعش حباً بنا. سنغمر اجسادهم بالشرف، شرفنا الذي يغرقهم كالطاعون، كالعاصفة، لن نريحهم، ستغتال ضمائرنا الفائضة بالتسامح قبحهم وحقدهم وبؤسهم وزيفهم تقاوم الزيف وتنتصر. سيسجل التاريخ لبغداد لوعتها وحبها وانتصاراتها. ها هما عقدان من الزمن الهائج لا تتكلم الحضارة الا عن بغداد ادخلت بغداد فكرتها وذاتها ووعيها وتفكيرها الى مركز الارض لتصبح عصاه العنيدة تأبى الا بالتوازن عصا الفكر والقتال وهما لا يتجزءان عصا المحبة والتسامح وهما لا يتجزءان، عصا المعرفة والثقافة وهما لا يتجزءان. سنقول كلمتنا قبل النهاية وسننفي الموت عن بغداد. وباءٌ حطَ، همجيةُ الخوف خوف الظالم والمظلوم، اما نحن فلا نحير ولا نُحير. اصدقاؤك الساكنون، السلم والحب والتسامح والثقافة. نحن تلاميذ السعادة والفرح، البهجة واللذة، لذة الاطمئنان والذاكرة لذة الوجود والنسيان لذة الولادة والحب. أفلا يدركون فقه الحزن وكيف نتسلى به؟ وكيف يتونس بنا؟ وكيف يألفنا؟ الحزن هذا الكائن الوديع يربض فينا ونربض فيه، علنا نعرف جزءاً من ومضاته وعله يدرك صفوة وذكاء صبرنا. لقد عجنا الصبر وعجناه، وصرنا نبتة واحدة، نثمر هكذا بلا زهر، فجأة لنبيد الوباء، هذا سرنا لا يعرفون ولا يدرون ولا يعلمون كيف نفكر ونعمل ونصبر ونقرأ ونقاتل من غير سلاح ولا ماء. أهي الثقافة؟ البذرة والثمرة الاولى والطعم هي اللذة الكبرى بها نبيد الطاعون بها نبيد وباء الهجمية والتلوث والقبح نحن الدم الصافي تسجله الحضارة في طياتها. للكبرياء لغته. يقتلوننا نستفيق من حلم الموت ونعتصم امام الرب ونظل نعتصم حتى تفيق الالهة من سباتها الطويل: بغداد لنا، يقول الجمع، جمع الهمجية الهائج ونحن ندري ان بغداد لا توافق، وبغداد تمتنع. انا الوالدة انا ام الجميع، ولدتكم اجمعين ام انهم لا يعلمون؟ بغداد رافعة الظل في ظلها يستحم الانبياء وفي نهرها يموت الاغنياء والفقراء. في دجلة لا ينجو الا الزمان. اما نحن من عاش لحظة او يوماً او اشهراً ثلاثة نوقظ صبح بغداد من سباته فيستفيق ممتنا مستغرباً! كيف وجدنا آلية الاستيقاظ تتدحرج امام اقدامنا ليرى الصبح الليل بجوارنا قائماً بهامته الشمخاء بملذاته السمراء وبعطفه الاخضر الجميل ولا نقول لا ندري يرانا نداعب الاشياء نلوذ مرة اخرى بالصمت صمت الصبر لا نقول الاشياء سدى ينحني النهار لقوتنا قوة الامل الابدي والموت الابدي، وحدتهم فينا الاشياء الموت في لحظته لحظة الصفر السرمد الهائل والهائج والمستكين صفر الرياضيات والتكوين والرملة الاولى والقطرة الاولى السرمد والمستحيل يقول الصبح سأنام في الليل فالليلُ ليلكم وسأسمح لموتاكم يستنشقون هوائي المستحيل نقول له هل لنا ان بشكرك لك ليقول لا أعطوني الظلام لأستريح فلا نعطيه الظلام، بل نرقد نحن لنمنحه قوة صبح آخر للارض وصبح اخر لاصدقائنا وصبح اخر للمستحيل.

(ناصية الاستقامة) يعشقون الحياة، وتعشقنا، يناغينا الليل يتودد لنا نحن اهله وجواريه نحن بناؤه الصلد يتوسلون بالليل فينصفهم لينامو فيه بسبات عند التاسعة والربع، هكذا هم أنصاف الليل، وأذلال النهار، هكذا تجري الامور في شارعنا، وشارع ابي نواس.

مهند مات

ونحن واقفون ما زلنا. قالت لي الصخرة سأبكي في المساء لوعة اناغي بها قلوبكم علكم تنسون، ونحن لا نقول الجواب واقفين ما زلنا نشتري اشياءنا من رزقنا لا نرتكب الا الحقيقة ولا نرجو الا السؤال يتحجر في اعناقنا الطعم واللذة، لكننا نتمهل الاشياء نشتري العافية بالرضى ولا نقول الا ما ينبغي ان يقال. تتشابك الارواح فوق هاماتنا، فلنلتئم ونلتم معاً في صرخات، تجابه أفق الزمان المر لنعيد صنعه مرة ومرة واخرى حتى يستكين من العواء، فنسجل النشيد بحروف لا لبس فيها، لتستقيم رخامة الصوت. من المستحيل حتى الممكن تبدأ حكايتنا نبني بها العشق ونرحل. بغداد هذه الرعشة المترفة في اجسادنا، رعشة نريدها تزول فلا تزول فننام صافين هانئين هادئين، حتى مطلع الفجر، لنستفيق ببغداد وديمومتها، وضحكتها الشجاعة، تقول لنا نحن معشرها لا تخشوا عليّ اني لا ازول فالرب يصنع الاشياء التي لا تزول، فننزل من خوفنا الى شجاعتها لنغتسل ببأسها، وندهب الى صناعتنا هادئين. ستصبح الاشياء واضحة كالبراءة ويذهب كالعادة الزبد الى مرماه خجلاً ويتمشى الحق الى دارنا ليصافحنا، فنصافحه، ربما لا نقول له شيئاً نومئ لنا يذهب، ونرحل الى الدار آمنين ليس الى دار ابي سفيان قطعاً، الى دارنا، دار البداية، البداية الابدية، فمثلنا لا يعرف الانتهاء. كلنا بدايات، بدايات الألم والحب المستحيل والممكن القوة والصمت، الخسارة والصبر، الضوء والظل، الارتعاشة واللذة، وكل الملتقيات دائرة تبدأ بالقداس القداس الازرق، قداس الضوء الصامت، لا يستطيع الانتهاء النخل يريد لنا به الانتصار. لماذا انت هكذا يا عراق؟ ام تقول لماذا هكذا نحن؟ فاننا ندري ما نفعل نصمت نناضل، نعيش، نصمت ثالثةً، نداوي الجراح، نفاوض، نعمل، لا نذهب، نأتي نعطي ونعطي من جراحنا الكثير نمنح النفط عافيةً للاخرين. هل نموت يا عراق؟ لاننا لا نستكين؟ من انتَ؟ يا عراقنا المسكين. لم نتعب ولم تتعب معنا؟ الا تتركنا للاخرين؟ ام ان الجرح عندك عافية؟ يا عراقنا! ولن نبوح بالسر، لم نحبك هذا الحب، وكيف نبيح السرَ؟ ونحن لا نعرف السر، هل السر نحن؟ سيسرد الاموات للرب سيرتنا. لن نعلن النهاية في اليوم السابع من سفر التكوين قال لنا الرب أنا سأعلنها: وانتم الباقون هكذا إذا تسير بسيرتنا، تبقى ونبقى. لتعلن الاستقالة للآخرين؟ وكيف يستقيل الأزل؟

أريد ان اكون غبياً لحظة او اشهراً ثلاثة لكنك لا تمنحني، راحة الغباء، ولا تغادرني، معي الى المنفى ثلاثاً وعشرون، أبتعدُ منكَ وتقترب، ابتعد وتقترب. حيرتني! هل أنا الغائب؟ ام انت الحاضر؟ ام انت المنفيّ في؟ ام نحن ننفيك وتأتي؟ لماذا لا تستطيع الانتظار؟ تصهرنا فيك وتضيء نسياننا حتى لا ننسى. تُعذبنا وتقتلنا ولا تقبلنا ونلوذ اليك وتمنحنا الحيرة. من أنتَ هل أنت القبلة ام أنت القبلة أم انت الاثنان معاً؟ لماذا جئتني اليوم في الرابعة والثلث؟ ساعة تحير حتى الاحزان ألتقول لي، أني هنا. ام يا عراق اشتقت الى بغداد؟ هكذا موطن العشق، لا ينسى صاحب صاحبه، وتريد مني النسيان هكذا اذاً فانت، لا تكذب يا عراق وانت لا تنسى مانحيكَ الحبَ، فكيف الذي كان وكيف هذا الزمان؟ ألا تقولَ لي، انا الذي اعطيتكَ اللحظات، هل تخشاني، وأنا انت، وانت لي، وانا لك هل تكابر وانت السكون، هل امنحك الظلَ، ظلي قليل، منحتنا كل الايام الاولى ناغيتنا رويتنا الاحلام نناشدك، ألا تستعجلَ الايام اعلمْ لا تقبل بنا إلا كما انت.

(قالوا نشجب الضوء عنكم). سمعناك من شارع الرشيد، تقول: وكيف تشجبوه؟ والضوء فيهم هكذا انت وهكذا نحن يحاصرهم حبنا ونضحكُ من حقدهم قصور النهاية في كل مكان، يسحبُ من يموتون من الروح اصواتهم ويرحلون، لا يقولون الشهادة، يهبون الشكر للقاتل، ويذهبون، هكذا تهز بغداد اجسادنا هكذا لا تقول لنا شيئا هكذا نصمت، وتعطينا صمت الموت، ونعطيها الصلوات

ريح لم تزول يريض موتانا في الارض، ونحن على الارض ساهرون، نحيك الظلالَ، ننسج الضوءَ، ندوزنُ الوقتَ، نزرع الندى لعباً للاطفال، ونحمي صدور العاهرات من الجفاف بغداد تقول عندي لا محال، انا مجال الارضِ والقبور لي وتمتمات النساء. قلوبنا صافية ألا تصفو بنا يا عراق! وبغداد لا تلتئم الا بنا ألا تعيد لنا الرائحة الاولى يا عراق. كل الاشياء تدعنا وترحل، حتى الحشرات تغادرنا ونقبل. يا عراق يا صانع الضوء تمهل. تقتلنا في الصباح! وفي المساء تتركنا وترحل ونقول لاطفالنا سبحوا بحمده علّه يخجل. أما كفاك منا ألماً ولوعتاً وموتاً، تصنعنا وتصنع فينا مقتلنا. ألا تستفيق من حلمك؟ وتبث في رافديك صمت السلام. ليستفيق اطفالك على صوتك البهي الرحيم. لا رحمة في وادينا علك تعلم.

يا صانع صوت الموت، وصوت النساء، وصوت الحق، وصوت الرحمة، الا ترحم الارض من القبور؟ يا عابر جسر الموت تمهل فلعل الرب يستفيق ولعل الموت يرحل.

قلوبنا صفوة، ألا تصبو بنا يا عراق! وبغداد لا تلتئمُ إلا بنا ألا تعيد بنا رائحة الاولى يا عراق، كل الاشياء تدعنا وترحل، حتى الحشرات تغادرنا ونقبل.

نتوضأ بالدماء، فلا ماء في ربوعنا. تنساب في ثنايانا دجلة حزينة خجلى والفرات شاهق بالوفاء يغازلها كل مساء. نشاهد الموتى يبتسمون لنا في الصباحات، ويرحلون في توابيتهم خاشعين. نشاهد ارواحهم تتأزم صمتاً بالصرخة ويذهبون فنخشع. فنذهب الى مقالاتنا واجمين. فنشرب القهوة ونقهقه احياناً، واحياناً مع القهوة صامتين. لا ندري اكثر الاوقات ما نفعل واكثر الاحيان نفعل ما لا نريد. هل تريد منا يا إله ان نعيدك الى الارض؟ لتنسى السماء ماذا بك انت الرحيم انت العليم؟ هل نحن ازمتك الاخيرة؟ ام نحن صوتك في الارض أم نحن الصرخة الصامتة؟ ام نحن صليبك الابدي الا تنبثق بنا وترحمنا... ألا تتركنا لننساك؟

من نحن يا إله؟ تعال الى بغداد يوماً لتضيء صبرها الطويل هكذا نسير بسيرتك ونضحك حباً، يا إله.. يا ايها الذي صنعتنا ألا تعلم اننا لا نستكين، يا إله.

مذكرات رشدي العامل

❖ وماذا كانت استبصاراتي الماضية؟

انها اذا استعدت، وفق اكثر ما استطيع من وضوح لا تزيد عن محاولة صبية، غضة، للركض باقصى سرعة وبأيسر ما كان بين يدي، لمعرفة العالم. كان التوق الى المعرفة المبكرة عذاباً يومياً ولكنه- على قدر ما اتذكر كان عذاباً سعيداً الى حد الذهول.

لقد تميزت طفولتي بعيداً عن الادعاء، بنوع من التألق غير الاعتيادي في وسط اجتماعي محدود، مغلق، واشبه بالبدائي.

لقد كنت طفلاً مدللاً في اسرة متواضعة ولانني كنت الطفل الاول لأبي وامي، والطفل الاول لدى اخوالي الذين لم يكونوا قد تزوجوا.

ان ابي وقد اعطي هذه الهبة النادرة التي هي انا اراد ان يصنع منها شيئاً نفيساً لقد حلم -هكذا اتذكر- ان يغدو هذا الطفل الذكي الجميل، هذه اللعبة المتقنة الصنع، شخصاً مرموقاً وفذاً!

وبالطبع فان الهالة التي احيطت بها طفولتي، كانت ترشحني، في نظر ابي على الاقل، لان اقتحم العالم، من بوابة الوظائف العامة التي ستفضي بي، دون ريب، الى ان احتل كرسياً في مجلس النواب قبل ان اغدو وزيراً وربما رئيساً للوزراء ذات يوم من يدري؟؟؟!

فبعد ان زرعني في هذا العالم زرع فيَّ ابي حباً لافكاك منه ابداً للشعر والتأريخ والسياسة لقد ظل هذا قدري.

غير ان الشيء الاكثر عمقاً وتأثيراً من كل ما عداه هو غرس الروح الوطنية العالية الجامحة التي تقرب من الهوس، انني لابتسم حتى الآن بحنان لاحد له، وبامتنان عميق، عندما اتذكر بمرح كيف كان يحلو لأبي خصوصاً عندما يشرب، ان يسمعني قصيدة ما، او يستمع إلي، وانا اهدر بمقطوعة شعر حماسية، او ألثغ بقصيدة تنوح على الاطلال:

طفولتي هيأت لي فرصاً طيبة كان مزاجي الخاص المتفتح والطليق يسعفني دائماً في استثمار ألذ ما فيها ان الالتذاذ هنا، بمعنى انني كنت استطعم ايام طفولتي الذهاب الى المدرسة وحب المعلمات في روضة الاطفال بمدينة الرمادي، والمجلات المصورة واحاديث ابي مع ضيوفه، وثرثرة النسوة الزائرات وفيما بعد الاشتراك في الحفلات المدرسية التمثيليات وحفلات الخطابة والالقاء وفي مرحلة لاحقة، القراءة الشغوف لكل ما تصل اليه يدي.

ذاك زمان ورحم الله عمر فاخوري، كنا نسكر فيه بزبيبة

واذن!

فلم يكن ذاك قدري فقط انه اختياري كما يقول كولن ولسن اختيار محض بعد طواف مشتت

لقد تساءلت بضراوة الشباب وحيويته ويأسه احياناً، أين الدرب؟

وبدأت اكتشف ببطء، بصبر، بشيء من المشقة وكثير من روح الارتياد حياتي بدأت مساراً جديداً

وبهذا الاكتشاف كنت شقياً وسعيداً ان لي قدرة لاحد لها على العطاء وهكذا تخيلت وهو العطاء الذي يفوق في مدى ما يمنح من سعادة داخلية، كل ما يمكن ان انوء به مستقبلاً من عذاب وعنت.

ان قدرة لا نهائية، قدرة غير محدودة على الحب كانت هي الزيت الذي امد هذه الآلة البشرية المعقدة بالطاقة وهو -زيت الحب هذا- ما منع الآلة من التآكل والصدأ حتى الان متعبة هي الخطوة الاولى متعبة وحاسمة في طريق الانسان.

ومنذ البداية فكرت انها ليست لعبة انها عملية شاقة تحول كامل ونهائي هذا الذي وجدت نفسي فيه وبعد جلسات طويلة مع حسين ومع من ابقتهم العاصفة الغبراء التي اجتاحت صفوف الحزب الشيوعي بعد اعدام قادته الثلاثة ووضع قيود السجن الطويل في معاصم الكثيرين من قادة وكوادر الحزب.

لقد بدأت الاغنية من جديد واستطاع الحزب لعق الجراح والملمة ما تبقى وعاد الى العمل ومع الاغنية الجديدة بدأت حياة جديدة لا ازال اتذكر الكراسات التي كان قسم ممن ابقت عليهم العاصفة في مدينتي النائية، يحتفظون بها سراً، قبل ان تبدأ جريدة "القاعدة" بالوصول الينا منسوخة باليد.

ومع بداية العام الدراسي الجديد كنا نشكل اول حلقة طلابية وبمبادرة ذاتية اخذنا مسؤوليتها على عاتقنا.

لا اتذكر الآن، كيف عرفنا بعضنا كيف التقينا كيف تهامسنا في طريقنا الى المدرسة الثانوية في عودتنا منها، في الدروب المترية المتعرجة وفي البساتين ما اتذكره اننا وجدنا انفسنا معاً واننا وجدنا بطريقة ما صلة ببعض المعلمين من ابناء مدينتنا- القرية وبمدرس جاءنا من بغداد، والتحق مدرساً للفيزياء في مدرستنا الثانوية.

كان الرجل القادم من بغداد مدرس الفيزياء ذو النظارات الطبية والقامة الطويلة النحيلة، والوجه الاشقر الذي يبدو كأن شمساً حارة حرقته كان يتطلع الينا بحذر غير ان صوته الدافئ المرتجف احياناً يشيع حساً بالثقة اكاد اسمع صوته حتى الان صوت الاستاذ عباس كان يختلس لحظات عابرة للقاء بعضنا بين فرصة واخرى، او في طريق انصرافنا الى بيوتنا الممتدة على جانب الفرات، قبل ان يدلف الى مسكنه الصغير المجصص في الطرف الغربي من مدينة عنه.

كان الاستاذ عباس، شأن كل مدرسي ومعلمي وموظفي المدينة الاخرين الغرباء، قد ألف الحياة في تلك المدينة.. في تلك القرية الطويلة، الغريبة، العريقة في القدم، الثابتة الساكنة، التي تمتص سكينتها اصخب الاصوات كما تمتص الوانها: ارضها ونخيلها وماؤها وخضرة طحالب سواقيها وضفافها اشد الالوان تفجراً ونبضاً ان اولئك الغرباء القادمين الى المدينة- القرية، الى القرية- المنفى يتأقلمون بسرعة مذهلة، لانهم لا يستطيعون غير ان يرتدوا زيها الغامض، ويتعايشوا مع طعمها الغريب ان لها شخصيتها المتميزة، غير المدركة، بتركيباتها العائلية المعقدة، وسلالاتها المتعددة، ولهجاتها المستعصية، المضحكة والبسيطة، والمعقدة والساذجة غير ان شيئاً مميزاً يلاحظه القادمون الغرباء فيها هو ان الالفة السريعة تمنحهم شعوراً بالود والمعايشة مع سكانها البسطاء الطيبين الذين تتجاوز اعمار سلالات بعضهم آلاف السنين محصورة بين ضفة الفرات وسفوح الوهاد الصخرية، والوديان المتعرجة التي تقطع سيول الامطار فيها آلاف الاميال قادمة من بطون الصحراء العربية لتصب في الفرات الازلي.

اننا، صبيان المدارس الابتدائية، وفتيان الدراسة المتوسطة والثانوية فيما بعد، كنا نشهد، دون شعور بالمراقبة الواعية، كيف يتحول معلمونا ومدرسونا، الى مواطنين اعتياديين مألوفين بيننا، وكيف يتعامل آباؤنا وذوونا معهم، ببساطة وإلفة ومحبة لقد امتصتهم قريتنا الهائلة، فاستجابوا الى معانقة ذلك الرمز التأريخي الموغل في القدم.

لقد تركوا وراءهم الجزء الاكبر من حيواتهم الماضية وبدأوا يتقاسمون معنا حياتنا اليومية هموم عوائلنا: الخبز اليومي في تنانير البيوت الخضروات والفواكه من المزارع الصغيرة والبساتين التي لا توفر لاصحابها -الا بالكاد- ما يزيد عن متطلبات الاستهلاك المنزلي، واللحوم، والالبان من الماشية التي تربى في البيوت الطينية والجصية.

ومع هذا، فكل شيء متوفر: لحوم الماشية واسماك النهر العظيم الطازجة اعذاق التمر ومخازن الدبس الدهون والازباد والالبان فواكه البساتين بانواعها المختلفة وما تمنحه الضفاف الرملية وبطون الجزر الساحرة من التين والبطيخ والمشمش الرطب والتفاح المدور الصغير ذي اللونين حتى الاقمشة الملونة الزاهية، مركونة في الحوانيت القديمة، قادمة بألف طريق وطريق، عبر النهر والصحراء، قاطعة الطريق من سوريا الى قريتنا العجيبة، مع روائح الصابون والقهوة والبخور وماء الورد بل حتى عرق التمر مستقطراً في منازل اليهود باقصى شرقي المدينة.

قصائد

بلا اشرعة

نَضبَ الراحُ، فاستفاقت جراحي
وتشكى ثغري فمَ الاقداحِ
وتناهى إلي رجع بعيد
نحنُ سكرى الهوى
وانتِ الصاحي
أنتَ من يزرعُ الرمالَ كروماً
وينثُ العبيرَ في القداح
❖❖❖
أيها الملائمي على شفة الوردِ
عبيرَ النسرين، في أقداحي
أنتَ تغفو بلا رقيف من الحلم
وأصحو ما بين عطرَ الجراحِ
لي قلبٌ في كل قلب تُنزى
ومساء يدنو مع الأصباح
❖❖❖
خفف اللومَ أيهذا اللاحي
لم تعد غيرَ نجمةٍ في الصباحِ
أنت مثلي؟
هل المعزون كالثكلى
وضحكُ العيون مثل النواحِ؟
انا فيضٌ من الدم المستباحِ
واسيرٌ ما بين هدبِ الملاحِ
أنا وهم تطوف بينَ عيوني
وجبيني مواكب الاشباحِ
آه لو تعرفُ الخطى أين دربي
آه لو يملكُ الفضاء جناحي
موكبي ضل،
والشراع تعرى
بين موجٍ عاتٍ،
وعصفُ رياحِ
كيف ادنو والنوءُ ناءٍ قصيٌ
من جنان الهوى وعرسِ الكفاحِ
لا تلمني اذا ترنح كأسي
بيدي، واكفهر وجه الأقاحِ
انما يركن الشراع الى القاعِ
اذا ما ونت يدُ الملاح

تشرين الثاني ١٩٨٤

من الأوراق

كنتُ على الموعد تلكَ الليلةَ،
أودعتِ السلةَ أرغفةَ الخبزِ وملحاً ونبيذاً،
زررتِ المعطفَ،
كان البردُ يلز عظامي،
والمطرُ الشتوي يغطي أرصفةَ الليل،
ويرقص، مخبولاً، فوقَ الطرقات،
لمحتُ إمرأة خائفة تنسل، وحارسُ حارتنا يفرك كفيه،
فخبأتُ المنشورات واوراقَ الشعر،
ابتسمتُ عيناي، ومازحتُ الحارسَ
سرتُ وئيداً في منعطف الدربِ،
واصغيتُ قليلاً،
وطرقتُ الباب
❖❖❖

كانت جالسةً في الضوءِ الخافتِ،
بين الشباكِ وبين البابِ الموصدِ،
عيناها السوداوان ترفان،
لدقاتِ الساعةِ تعلن نصفَ الليلِ،
وكفاها تتكئان على المسند،
والمطرُ الناعم خلفَ الجدران،
وصمتُ الشارعِ يزرع في عينيها الخوفَ
"تأخر"
وارتجفتُ "هل اخذوه؟"
ودقَ الباب

حوار

- ويحكَ يا رجلَ الاحزانْ
ذوبتِ الصبر،
- وذوبني الصبرُ،
وأضناني الجسدُ الناحلُ
اتعبني اليأس بعينيك
-واتعبني القهرُ الصامتُ في عينيكَ،
ألا تعرفُ طعمَ النسيان؟
ظلت عيناها الذابلتانِ
ترشان الصمتَ،
وكفاها بين يديه تنثان الدفءَ
رنت للشباكِ، وكفكفت الدمعه
- غن لي، أرجوكَ حبيبي، حزنَ الانسان
- سأغني لعيونكَ، لو تبتسمينَ
دموعُ الشمعه

للاغنية
يا وطني
يا طفلاً يمنحني الضحكَ،
وأرضاً تهبُ المأوى والخبزَ،
وشمساً في عرباتِ الفجرِ تجرُ الألوانْ
هَبْ لي من شفتيكَ الغفرانْ
كنتُ لي الارضَ وكنت البذرَ
وكنتُ لكَ النسغَ الصاعدَ للاغصانْ
يا وطني..
من منا يرثُ الارضَ
صيارفةُ الاسواقِ أم الفقراء؟
من يرثُ الشهداء؟
حضنَ الارضِ،
وأوراقَ العشب،
وهمسَ الماء
❖❖❖
يا وطني
انتَ الرايةُ والارضُ
وانتِ العشقُ وانتَ الحبُ الاولُ،
أنتَ البرعمُ والطفل
وأنتَ البستانْ
يا وطني
انتَ الانسانْ

الرؤيا

يداكَ في يدي
وأنتَ تضحكينْ
ووجهكَ الحائرُ بين الشكِ واليقينْ
- هل نرحلُ الليلةَ،
يا شاحبةَ الجبينْ؟
- يا شاعرَ الحزنْ،
عذابي أنتَ، سجاني،
وأنتَ السجنُ والسجينْ

تشرين اول ١٩٨٦